

النتائجُ ثمرةُ المُقدِّمات

2020-09-08 نزار حيدر

حقاً أستغربُ من الذين يزعلونَ على واقعهم من دونِ أن يبحثوا عن المُقدِّمات التي أنتجتُهُ، بالتَّراكم والتَّغافل والألأباليَّة.

بهذا الصِّدِّد فإنَّ عاشوراء تُعلِّمنا درساً بالغ الأهميَّة.

يقولُ الحسينُ السَّبَّط (ع) {سمعتُ رسولَ الله (ص) يقولُ: الخِلافةُ محرَّمةٌ على آلِ أبي سفيان، وعلى الطُّلقاءِ وأبناءِ الطُّلقاءِ، فإذا رأيتُم معاويةَ على منبري فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهلُ المدينةِ على منبرِ جدِّي فلم يفعلوا ما أمرُوا به فابتلاهمُ اللهُ بإبنه يزيد، زادهُ اللهُ في النَّارِ عذاباً}.

فالتَّنتائجُ التي رأتها الأُمَّة والواقعُ المرير الذي عاشتهُ هو نتاجُ مُقدِّمات غلط تمثَّلت بالعصيانِ والإنقلابِ.

ولذلكَ فعندما يمرُّ عليكَ واقعٌ سيِّئٌ لا تشغلِ بِلِغتهِ وإِنَّمَا فكِّر في المُقدِّمات التي أنتجتُهُ لتُقَسِّمَ على أن لا تعودَ إليها ثانيةً إذا كانت من فعلِكَ أو أن تصحَّحها إذا كانت من فعلِ غيرِكَ.

فاذا صَوَّتَ لـ [عجلِ سمينِ] في الانتخاباتِ أو منحتَ ثِقَتَكَ لِعِمامةٍ فاسدةٍ أو للصِّ فاشلٍ ليُمثِّلَكَ تحت قُبَّةِ البرلمانِ فلا تزعلِ إذا بقيَ أولادك في الشَّارعِ يبيعونَ عُلْبَ المحارِمِ عندَ التَّقاطُعاتِ أو إذا رأيتَ الخريجينَ عاطلينَ عن العملِ وأنَّ المُستشفياتِ تسرحُ فيها الفِئرانَ.

لقد رسمَ الرَّسولُ الكريمُ (ص) للأُمَّةِ خارطةَ طريقٍ مُفصَّلةً وواضحةً خاصَّةً على مُستوى الخِلافةِ، إلاَّ أنَّها لم تلتزمِ بها، وعندما تعرَّضتِ للمآسي بسببِ إرهابِ السُّلطةِ وفسادها المالي والإداري، والذي أنتجَ إعادةَ التَّمييزِ والطبقيَّةِ على أشدها، لاموا واقعهم المرير من دونِ أن يتساءلوا لماذا؟! لماذا وصلَ بهم الحالُ إلى ما هو عليه؟!.

إِنَّ كُلَّ حَالٍ هُوَ نَتَاجٌ مُقَدِّمَاتٍ، وَإِنَّ كُلَّ وَاقِعٍ هُوَ نَتَاجٌ مَا قَدَّمَهُ الْمَرْءُ بِالْأَمْسِ، فَلَا يُوْجَدُ حَاضِرٌ يُوَلِّدُ بِالصَّدْفَةِ، كَمَا لَا تُوْجَدُ نَتَاجٌ تُوَلِّدُ بِمَا مُقَدِّمَاتٍ، حَتَّى الْآخِرَةِ هِيَ نَتَاجُ الدُّنْيَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} وَفِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) {الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ} فَهَنَا تَزْرَعُ وَهَنَّاكَ تَحْصِدُ.

إِنَّ مَنْ يَسْتَعْرَبُ مَنْ حَاضِرُهُ قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَ بِمَا قَدَّمَ لَهُ كَمَنْ يَسْتَعْرَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَتَبَهُ الَّذِي سَطَّرَ تَفَاصِيلَهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا! يَقُولُ تَعَالَى {وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} فَيَأْتِي الْجَوَابُ {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

وَإِذَا تَيَقَّنَّا بِأَنَّ {لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ} كَمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) فَسُنَدِّقُ فِي كُلِّ مَا نَنُوِي فَعَلَهُ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَتِ الْحِكْمَةُ {إِنَّ الْيَوْمَ لَهُ مَا بَعْدَهُ} فَلَا تَتَصَوَّرُ بِأَنَّ الْفَلَكَ سَيَتَوَقَّفُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، إِنَّهُ يَدُورُ وَيَدُورُ، فَلَنْ يَتَوَقَّفَ إِذَا تَسَنَّمْتَ مَوْقِعًا [رَفِيعًا] مِثْلًا وَتَأَكَّدُ بِأَنَّ مَا تَقُولُهُ وَتَفْعَلُهُ الْيَوْمَ سَتَجِدُ عَاقِبَتَهُ غَدًا شِتَّ أَمَّ أَبِيتَ.

إِنَّ أَمْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالنَّظَرِ فِي حَالِ الْأُمَمِ هُوَ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعْرِفَ تَأْثِيرَ الْمُقَدِّمَاتِ عَلَى النَّتَاجِ فَوْرًا كَوْنُهُ تَارِيخٌ يَخْتَزِلُ لَنَا الزَّمَنَ فَيُرِينَا التَّفَاصِيلَ مِنْ دُونِ الْحَاجَةِ لِلْإِنْتِظَارِ، فَنَكْتَشِفُ وَنُقَارِنُ وَنَتَعَلَّمُ فِي أَنْ.

رُبَّمَا أَنْتَ لَا تَرَى عَوَاقِبَ أَفْعَالِكَ فِي حَيَاتِكَ وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الزَّمَنَ تَخَافَلَّ عَنْهَا أَوْ نَسِيَهَا أَبَدًا، فَسَتَلْمِسُهَا لِمَسِّ أَيْدِ أَجْيَالٍ قَادِمَةٍ مَا لَمْ يُغَيِّرُوا وَيُبَدِّلُوا، خَاصَّةً فِي الشَّأْنِ الْعَامِ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ {فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}.

إِنَّ جَيْلًا وَاحِدًا أَخْلَفَ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَذَبَ، إِلَّا أَنْ نَتَاجٌ وَثْمَنٌ ذَلِكَ الْفَعْلَ الْمَشِينِ ظَلَّتْ تَدْفَعُهُ أَجْيَالٌ مَا لَمْ تُصْلِحْ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَنُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} كَمَا يَتَصَوَّرُ الْبَعْضُ، سَاعِيًا لِتَرْكِيْبِ الْآيَةِ عَلَى الْمَفْهُومِ هَرَبًا مِنَ الْمَسْئُورِيَّةِ.

حَتَّى [الأمَّة] التي قتلت الحُسَيْن السَّبَّط (ع) ستظلُّ تتوارث [لعنة زَيْنب] ما لم تُغَيَّر.

nahaidar@hotmail.com